
كان يا ما كان
جـــاك
و الفـاصوليا العـجـيبة
CHIHAB Kids

كان يا ما كان...

جَـاكْ وَ الْفَـاصُولِيَا الْعَـجِـيبَةُ



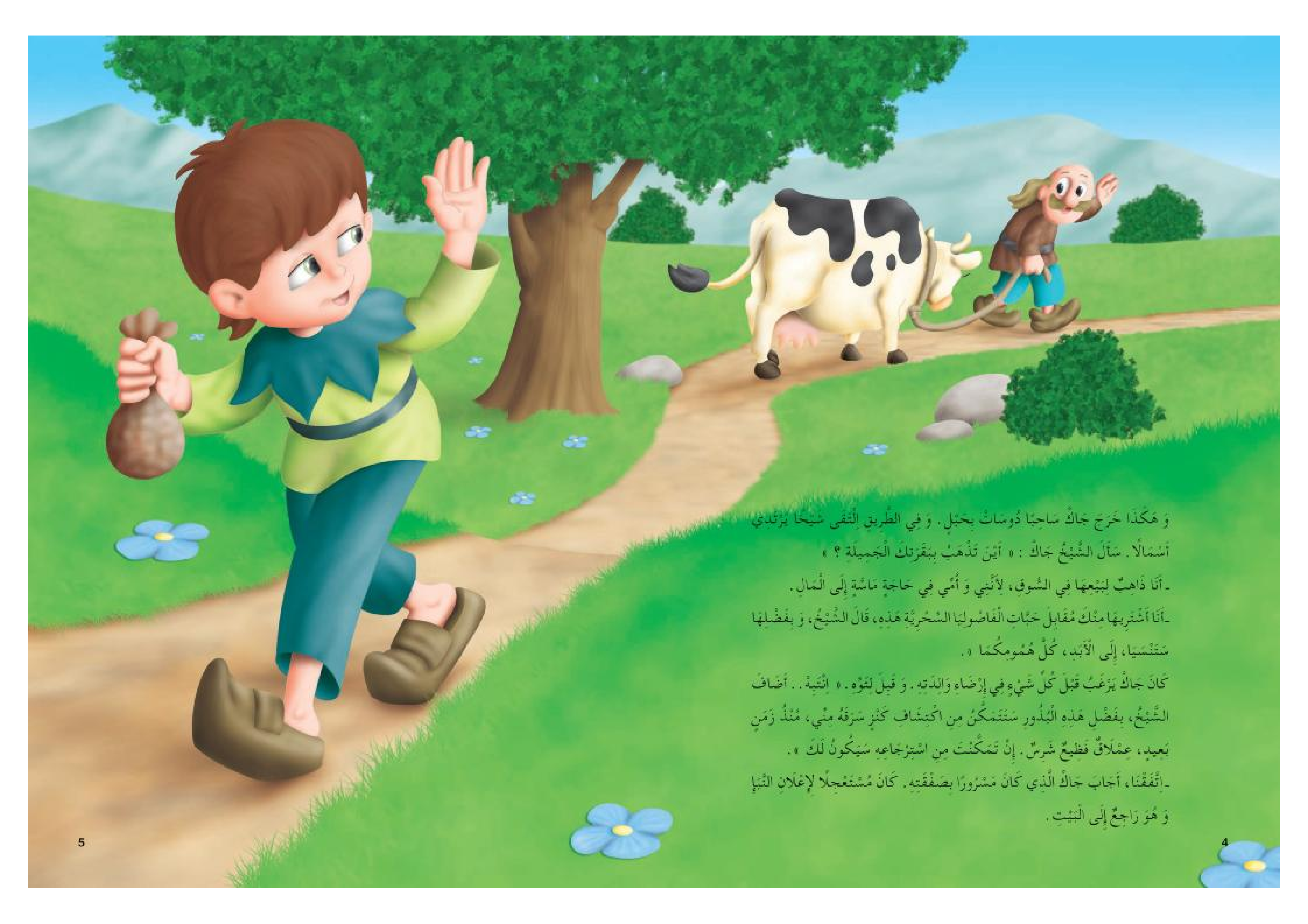
مقتبسة من حكايات مجهولة المؤلف

رسوم : منصور عموري





كَانَ جَاكْ يَعِيشُ مَعَ أُمِّهِ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ جِدًّا وَ لَمْ يَعْرِفْ قَطُّ أَبَاهُ. وَ كَانَتْ أُمُّهُ تَقُومُ بِأَشْغَالِ الْخِيَاطَةِ فِي الْجِوَارِ. فِي حِينِ كَانَ جَاكْ يَعْتَنِي بِحَدِيقَةِ الْخَضْرَوَاتِ وَ بِبَقَرَتِهِمَا الْوَحِيدَةِ، « دُوسَاتْ »، الَّتِي كَانَ يَحْلُبُهَا كُلَّ يَوْمٍ. فِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَ الشِّتَاءُ قَاسِيًا، وَ فِي الرَّبِيعِ لَمْ تُعْطِ الْحَدِيقَةُ شَيْئًا تَقْرِيبًا. فِي صَبَاحِ أَحَدِ الأَيَّامِ قَالَتْ أُمُّ جَاكْ بِأَسًى : « لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ إِطْعَامِ دُوسَاتْ، يَجِبُ الذَّهَابُ إِلَى السُّوقِ لِبَيْعِهَا ». وَ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ حَتَّى الْمَسَاءِ طَلَبَتْ مِنْ جَاكْ أَنْ يَأْخُذَ الدَّابَّةَ الْمِسْكِينَةَ، قَائِلَةً لَهُ : « حَاوِلْ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى مَبْلَغٍ جَيِّدٍ ».



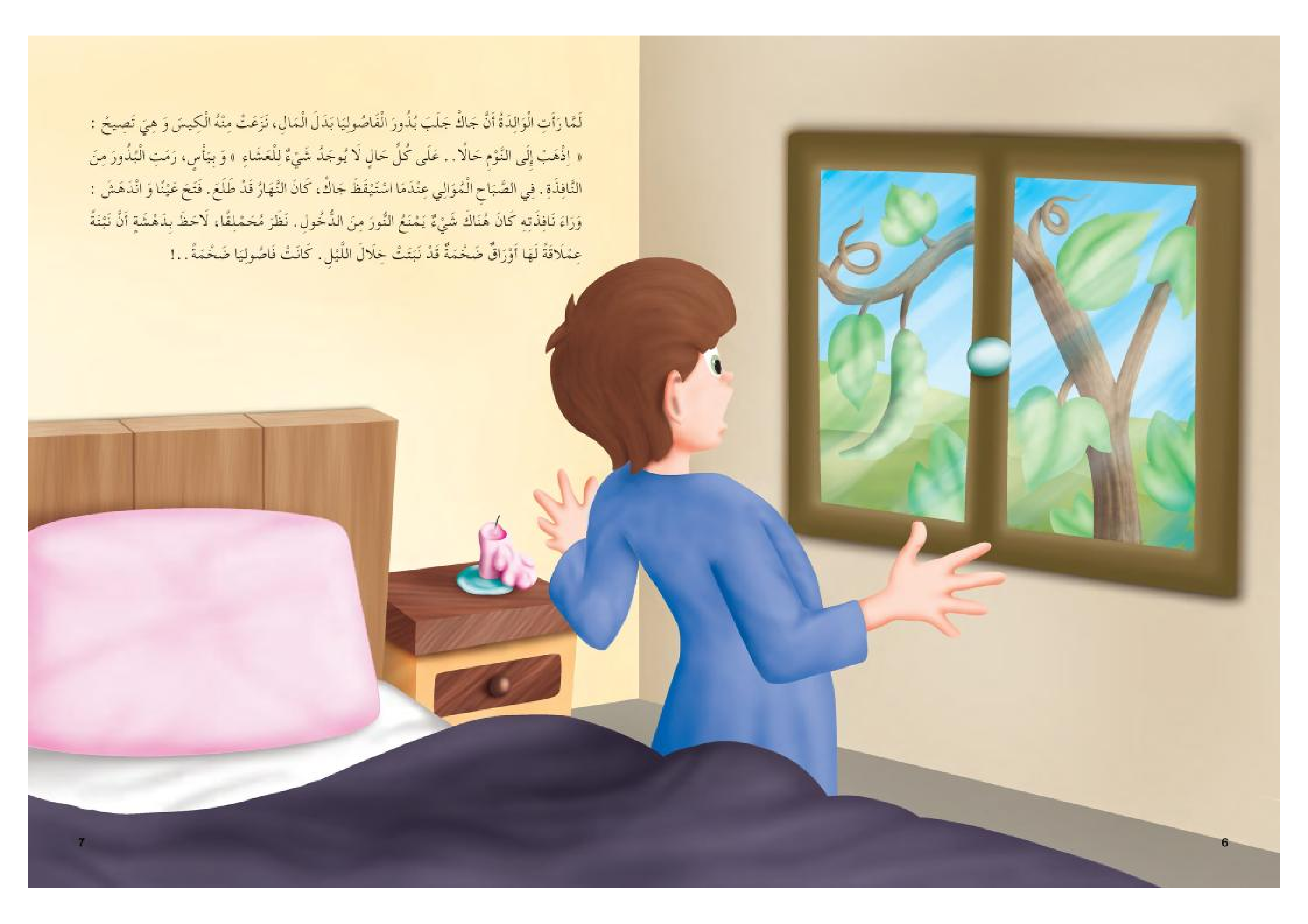
وَ هَكَذَا خَرَجَ جَاكُ سَاحِبًا دُوسَاتُ بِحَبْلٍ. وَ فِي الطَّرِيقِ الْتَقَى شَيْخًا يَرْتَدِي أَسْمَالًا. سَأَلَ الشَّيْخُ جَاكَ: « أَيْنَ تَذْهَبُ بِبَقَرَتِكَ الْجَمِيلَةِ؟ »

- أَنَا ذَاهِبٌ لِبَيْعِهَا فِي السُّوقِ، لِأَنَّنِي وَ أُمِّي فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الْمَالِ.

- أَنَا أَشْتَرِيهَا مِنْكَ مُقَابِلَ حَبَّاتِ الْفَاصُولِيَا السِّحْرِيَّةِ هَذِهِ، قَالَ الشَّيْخُ، وَ بِفَضْلِهَا سَتَنْسَيَا، إِلَى الْأَبَدِ، كُلَّ هُمُومِكُمَا ».

كَانَ جَاكُ يَرْغَبُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فِي إِرْضَاءِ وَالِدَتِهِ. وَ قَبِلَ لِتَوِّهِ. « انْتَبِهْ. أَضَافَ الشَّيْخُ، بِفَضْلِ هَذِهِ الْبُذُورِ سَتَتَمَكَّنُ مِنِ اكْتِشَافِ كَنْزٍ سَرَقَهُ مِنِّي، مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، عِمْلَاقٌ فَظِيعٌ شَرِسٌ. إِنْ تَمَكَّنْتَ مِنِ اسْتِرْجَاعِهِ سَيَكُونُ لَكَ ».

- اتَّفَقْنَا، أَجَابَ جَاكُ الَّذِي كَانَ مَسْرُورًا بِصَفْقَتِهِ. كَانَ مُسْتَعْجِلًا لِإِعْلَانِ النَّبَإِ وَ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْبَيْتِ.



لَمَّا رَأَتِ الْوَالِدَةُ أَنَّ جَاكْ جَلَبَ بُذُورَ الْفَاصُولِيَا بَدَلَ الْمَالِ، نَزَعَتْ مِنْهُ الْكِيسَ وَ هِيَ تَصِيحُ : « اِذْهَبْ إِلَى النَّوْمِ حَالًا . . عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ لِلْعَشَاءِ » وَ بِيَأْسٍ، رَمَتِ الْبُذُورَ مِنَ النَّافِذَةِ . فِي الصَّبَاحِ الْمُوَالِي عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ جَاكْ، كَانَ النَّهَارُ قَدْ طَلَعَ . فَتَحَ عَيْنَا وَ انْدَهَشَ : وَرَاءَ نَافِذَتِهِ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَمْنَعُ النُّورَ مِنَ الدُّخُولِ . نَظَرَ مُحَمْلِقًا، لَاحَظَ بِدَهْشَةٍ أَنَّ نَبْتَةً عِمْلَاقَةً لَهَا أَوْرَاقٌ ضَخْمَةٌ قَدْ نَبَتَتْ خِلَالَ اللَّيْلِ . كَانَتْ فَاصُولِيَا ضَخْمَةً . . !



فَتَحَ جاكْ النَّافِذَةَ وَ نَظَرَ إِلَى الْأَعْلَى : لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَرَى قِمَّةَ شَجَرَةِ الْفَاصُولِيَا. مُسْتَعْمِلًا حَافَّةَ النَّافِذَةِ تَسَلَّقَ السَّاقَ. فَكَّرَ بِأَنَّ « الْكَنْزَ مَوْجُودٌ فِي الْأَعْلَى ». بَعْدَ لَحَظَاتٍ كَانَ يَخْتَرِقُ السُّحُبَ الَّتِي تَحَوَّلَتْ كَأَنَّهُ فِعْلُ سَاحِرٍ إِلَى رِيفٍ جَمِيلٍ. قَفَزَ مِنَ الْفَاصُولِيَا وَ اخْتَارَ اتِّجَاهًا بِالصُّدْفَةِ. كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَجِدَ مَا يَرْوِي ظَمَأَهُ وَ أَيْضًا مَا يَسُدُّ رَمَقَهُ : لَمْ يَدْخُلْ جَوْفَهُ شَيْءٌ مُنْذُ الْبَارِحَةِ. مَشَى سَاعَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ، وَ هُوَ مُنْهَكٌ، أَمَامَ بَيْتٍ هَائِلٍ.



طَرَقَ الْبَابَ، فَتَحَتْ لَهُ خَادِمَةٌ..

قَالَ لِلْمَرْأَةِ الشَّابَّةِ : « أَنَا عَطْشَانٌ، أَنَا جَوْعَانٌ وَ أَنَا تَعْبَانٌ، هَلْ يُمْكِنُنِي أَنْ أَدْخُلَ لِأَرْتَاحَ ؟ »

- لِلْأَسَفِ.. كُنْتُ أَتَمَنَّى لَوْ أُضَيِّفُكَ، يَا صَغِيرِي - أَجَابَتْ - لَكِنَّ سَيِّدِي عِمْلَاقٌ قَدْ أَكَلَ عِدَّةَ أَطْفَالٍ، لَوْ دَخَلْتَ هُنَا، سَيُقْطِي عَلَيْكَ.

كَادَ جَاكُ أَنْ يَبْكِي. لَكِنَّهُ سَمِعَ صَوْتًا غَلِيظًا مِنَ الطَّابِقِ يَقُولُ : « هَذَا الْمَشْوِيُّ، أَقَرِيبًا يَكُونُ جَاهِزًا ؟ »

- دَقِيقَةٌ سَيِّدِي ! أَجَابَتِ الْخَادِمَةُ.

شَدَّتْ يَدَ جَاكَ وَ فَتَحَتْ بَابَ صُنْدُوقِ حِفْظِ الطَّعَامِ وَ هِيَ تَقُولُ : « اِخْتَبِئْ فِي الْقَاعِ ».



كَانَ الْعِمْلَاقُ يَنْزِلُ السُّلَّمَ مُحْدِثًا ضَجِيجًا كَبِيرًا.

« هَا ! أَشُمُّ رَائِحَةَ اللَّحْمِ الطَّازِجِ مِنْ هُنَا ! إِنَّكِ أَدْخَلْتِ أَحَدَهُمْ !؟

ـ أَبَدًا يَا سَيِّدِي، قَالَتِ الْخَادِمَةُ، دُونَ شَكٍّ هِيَ رَائِحَةُ طَبَقِ الشِّوَاءِ الَّتِي حَضَّرْتُهَا.

ـ « أَشُكُّ فِي ذَلِكَ ! »، قَالَ الْعِمْلَاقُ. وَ رَاحَ يُفَتِّشُ فِي كُلِّ الْأَرْكَانِ صَائِحًا :

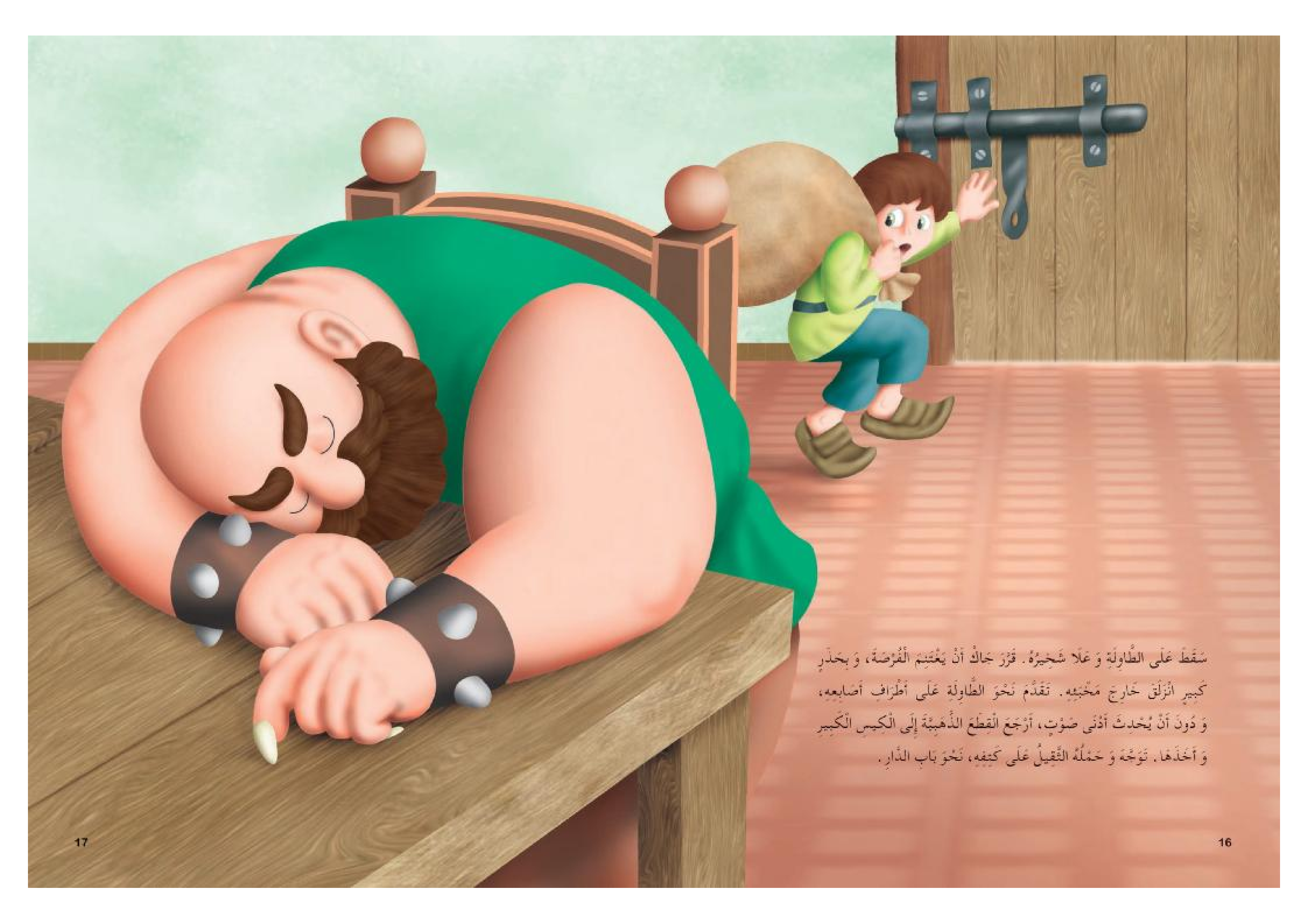
« هُنَاكَ رَائِحَةُ لَحْمٍ طَازَجٍ ! » وَ كَانَ يَفْتَحُ كُلَّ الْخَزَائِنِ وَ يَنْظُرُ تَحْتَ أُخْرَى.

جَاكُ الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئًا فِي حَافِظَةِ الطَّعَامِ، كَانَ يَرْتَعِدُ كَوَرَقَةٍ يَابِسَةٍ.



ـ أَسْرِعْ إِلَى الطَّاوِلَةِ سَيِّدِي، قَالَتِ الْخَادِمَةُ، سَيَبْرُدُ.

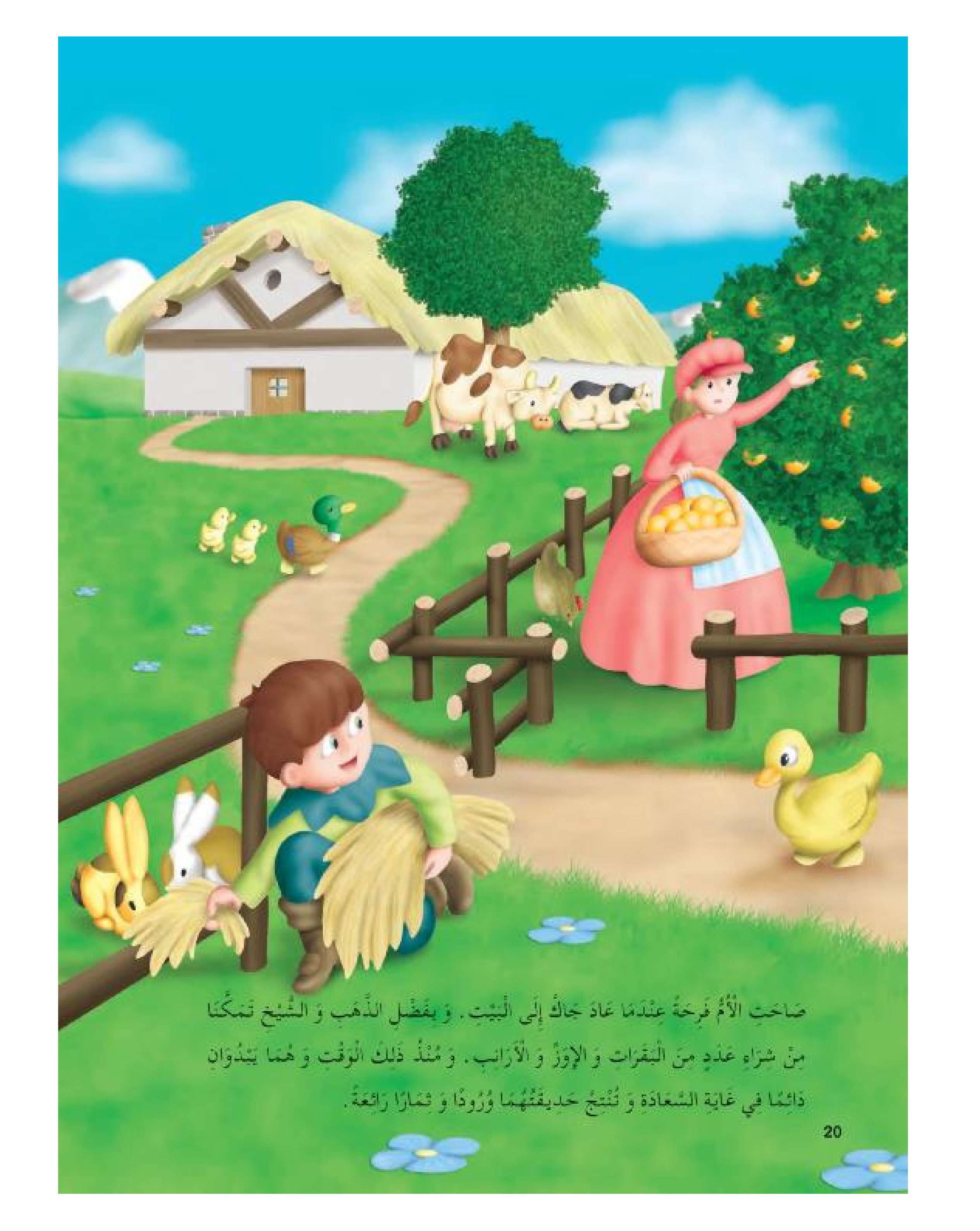
ـ صُبِّي لِي إِذًا، وَ بِأَسْرَعِ مِنْ هَذَا ! مَلَأَتْ صَحْنًا ضَخْمًا ثُمَّ وَضَعَتْ عَلَى الطَّاوِلَةِ ثَلَاثَةَ أَفْخَاذِ وَ يَحْمُورٍ وَ أَرْبَعَةَ دِيكَةٍ رُومِيَّةٍ وَ دَزِّينَتَيْنِ مِنْ قِطَعِ لَحْمِ الْبَقَرِ الْمَشْوِيِّ. بَعْدَ هَذِهِ الْوَجْبَةِ الضَّخْمَةِ نَادَى الْعِمْلَاقُ خَادِمَتَهُ : « أَعْطِنِي أَكْيَاسِي مِنْ قِطَعِ الذَّهَبِ لِأَتَسَلَّى بِهَا قَلِيلًا..! » جَاءَتْ إِلَى الْعِمْلَاقِ بِكِيسٍ مِنَ الْقُمَاشِ، كَبِيرٍ وَ ثَقِيلٍ جِدًّا وَ وَضَعَتْهُ عَلَى الطَّاوِلَةِ. رَاحَ الْعِمْلَاقُ مُبْتَهِجًا يُرَكِّبُ أَشْكَالًا بِالْقِطَعِ، بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ قَيْلُولَةً جَيِّدَةً.



سَقَطَ عَلَى الطَّاوِلَةِ وَ عَلَا شَخِيرُهُ. قَرَّرَ جاكْ أَنْ يَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ، وَ بِحَذَرٍ كَبِيرٍ انْزَلَقَ خارِجَ مَخْبَئِهِ. تَقَدَّمَ نَحْوَ الطَّاوِلَةِ عَلَى أَطْرافِ أَصابِعِهِ، وَ دُونَ أَنْ يُحْدِثَ أَدْنَى صَوْتٍ، أَرْجَعَ الْقِطَعَ الذَّهَبِيَّةَ إِلَى الْكِيسِ الْكَبِيرِ وَ أَخَذَها. تَوَجَّهَ وَ حَمْلُهُ الثَّقِيلُ عَلَى كَتِفِهِ، نَحْوَ بابِ الدّارِ.



لَكِنَّهُ عِنْدَ اجْتِيَازِ الْعَتَبَةِ، اِرْتَطَمَ الْكِيسُ بِالْبَابِ مُوقِظًا الْعِمْلَاقَ الَّذِي نَهَضَ فِي وَثْبَةٍ وَاحِدَةٍ. أَطْلَقَ جَاكُ سَاقَيْهِ لِلرِّيحِ هَارِبًا فِي اتِّجَاهِ الْفَاصُولْيَا. تَعَثَّرَ الْعِمْلَاقُ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ ؛ وَ لِأَنَّهُ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَوِيلًا حَتَّى يَسْتَعِيدَ وَقْفَتَهُ كَانَ الطِّفْلُ قَدْ وَسَّعَ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا. وَصَلَ جَاكُ إِلَى شَجَرَةِ الْفَاصُولْيَا، فَقَفَزَ إِلَيْهَا ثُمَّ تَرَكَ جِسْمَهُ يَنْزَلِقُ مَرَّةً وَاحِدَةً حَتَّى الْأَرْضِ. كَانَ الْعِمْلَاقُ ثَقِيلًا جِدًّا وَ عِنْدَمَا أَمْسَكَ بِالْفَاصُولْيَا انْحَنَتِ السَّاقُ جِهَةَ الْبَحْرِ. فَقَدَ الْعِمْلَاقُ تَوَازُنَهُ، سَقَطَ، وَ غَاصَ فِي الْمُحِيطِ وَ غَرِقَ.



صَاحَتِ الْأُمُّ فَرِحَةً عِنْدَمَا عَادَ جَاكُ إِلَى الْبَيْتِ. وَ بِفَضْلِ الذَّهَبِ وَ الشَّيْخِ تَمَكَّنَا مِنْ شِرَاءِ عَدَدٍ مِنَ الْبَقَرَاتِ وَ الْإِوَزِّ وَ الْأَرَانِبِ. وَ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَ هُمَا يَبْدُوَانِ دَائِمًا فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ وَ تُنْتِجُ حَدِيقَتُهُمَا وُرُودًا وَ ثِمَارًا رَائِعَةً.